المبحث الأول

الثقافة العامة ومصادرها

إن لثقافة الشاعر دورا كبيرا في شعره وتحديد اتجاهاته، لأنها تمده بمختلف الأغراض، والأفكار فضلا عن الذخيرة اللغوية التي ينتقي منها ألفاظه وعباراته، وإن الحديث عن ثقافة [١] مسلم ليس ككل حديث عن ثقافة أي شاعر وتأثره بثقافة عصره، واطلاعه على الموروث، إذ لم تكن دراسته لمأثور الأدب دراسة سطحية أو محاكاة، فقد وقف على ما فيه من صور وأساليب فذية، ولم يكتف بالاعتماد على معاني القدماء بل كانت له القدرة على الابتكار وخلق الصور الجديدة ذلك أن (النضج الحقيقي لأي مبدع لا يتم إلا باستيعاب الجهد السابق عليه)[٢].

ولعل من أهم مصادر تجربته في خلق صوره الشعرية:

١. التراث الديني والتاريخي
٢. التراث الأدبي.

(١) الثقافة: لفظ يطلق على تسمية بعض الملكات العقلية ومنها الثقافة الأدبية، والفلسفية، وما يتصف به الرجل الحاذق من ذوق وحس، وهي مجموعة العادات والأوضاع الاجتماعية والآثار الفكرية، والأساليب الفنية والأدبية، وأنماط التفكير، والقيم الذائعة في مجتمع معين – ينظر المعجم الفلسفي- الدكتور جميل صليبا ١/٣٧٨-٣٧٩.

(٢) التناص بين القديم والجديد، دراسة تطبيقية لنموذج شعري لصريع الغواني د. ماجد الجعافرة مجلة كلية الآداب، العدد ٤٨ السنة ٢٠٠٠م – بغداد ص ٦٣ (بحث).

أولا: التراث الديني والتاريخي

تأثر مسلم بأسلوب القرآن الكريم وبلاغته وجماله، فبدت آثاره واضحة في شعره من خلال الصور القرآنية التي استمدها، فضلا عن المعاني والفضائل الإسلامية[1]، ولم تأت المعاني القرآنية في شعره مجرد اقتباس [2]،وإنما جاءت متلائمة مع السياق العام للقصيدة ومعبرة عن مقتضى الحال، فمن صوره التي ظهر الأثر القرآني فيها قوله:-(البسيط)

لقد بعثت إلى (خاقان) جائحة خرقاء حصاء لا تبقي ولا تذر [3]

يشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ ﴾ [4] وأراد تصوير بأس جيش المسلمين وقوتهم، فشبههم بالنازلة التي لا تبقي ولا تذر، ويتضح أن لهذا الاقتباس أثره الكبير إذ إن قوله (لا تبقي ولا تذر) يدل على شدة الهول والبلاء الذي نزل بالأعداء، فعبر بهذا الاقتباس عما أراد أن ينقله ويصوره للسامع أحسن تعبير، فجعلنا نتصور أشلاء العدو الممزقة وما هم فيه من الهول والخذلان.

---

(١) عبر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عن الآثر القرآني في الشعراء الإسلاميين قائلا (إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم ..... والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة ... .فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا)- مقدمة ابن خلدون ٢/٥٧٩-٥٨٠، ويقول المستشرق غرنباوم (ومن الغريب المدهش انه لم يمض جيلان على ظهور الإسلام حتى امتلأ الأدب العربي بالموضوعات وبصور التعبير المتصلة بالدوافع الدينية). دراسات في الأدب العربي، ترجمة د. احسان عباس ص ٤٠.

(٢) الاقتباس: هو أن (يضمن الكلام شيئا من القرآن والحديث ولا ينبه عليه للعلم به)- حسن التوسل الى صناعة الترسل – للحلبي (ت ٧٢٥هـ) ص ٣٢٣. وينظر التلخيص في علوم البلاغة للقزويني (ت٧٣٩ هـ) ص ٤٢٢، أما التضمين فهو (استعارتك الأذصاف والأبيات من شعر غيرك، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك) – كتاب الصناعتين ص٤٢، وينظر الايضاح في علوم البلاغة للقزويني ص ٥٨٠.

(٣) شرح ديوانه ص٢٥٤.

(٤) سورة المدثر الآية ٢٧-٢٨.

وقوله: (الكامل)

وكل الزمان إلى البلى أطلالها فخلت معالمها كأن لم تؤنس (١)

استوحاه من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (٢). يشير مسلم إلى خلو هذه المساكن من أهلها فكأنها لم تسكن فجاء بهذا التعبير (كأن لم تؤنس) الذي استوحاه من الأسلوب القرآني ليشير إلى شدة الحطام والاندثار.

في قوله:(البسيط)

أخمدت بالشرق نيرانا مؤججة قد كان عز على الإسلام مخبيها(٣)

واضح أنه تأثر بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (٤). فأنه لا يأتي بالألفاظ المستمدة من القرآن الكريم سردا أو حشوا وإذما يوظفها لخدمة الغرض المقصود، فتأتي صوره من أجل ذلك مؤثرة ومعبرة خالية من التكلف.

وفي قوله:

والناس كلهم لضني واحد ثم اختلاف طبائع في أنفس (٥) **(الكامل)**

إشارة الى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾(٦). يبدو أنه تشرب بالمعاني القرآنية وتعمقت هذه المعاني في نفسه، فقد أشار هنا إلى معنى الآية القرآنية، وأن الناس من أصل واحد وأنهم ابناء آدم وحواء ومع ذلك نرى اختلافا في طبائعهم.

---

(١) شرح ديوانه ص١٣١.
(٢) سورة يونس الآية ٢٤.
(٣) شرح ديوانه ص ٢١٩.
(٤) سورة الإسراء الآية ٩٧.
(٥) شرح ديوانه ص ١٣٣.
(٦) سورة الحجرات الآية ١٣.

أما في قوله: (السريع)

يـــا أخـــت(هـــارون) أبـــوك الـــذي يقصـــر عنـــه القـــول والحـــدس[1]

فقد تأثر بالأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[2].

وقوله

حتـى إذا نضـب النهـار وأدرجـت في الليل شمس نهاره المتورس(الكامل)

ســـاورته فامتـــد ثـــم تقطعـــت أنفاســـه فـــي صـــبحه المتنفـــس [3]

استمده من قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾[4]. يتضح لنا أن الصور القرآنية ومعانيها تشربت روح مسلم، مما جعله يوظفها في قصائده، فعندما أراد أن يعبر عن امتداد الليل ثم اختفائه شيئا فشيئا مع انبعاث الصباح لم يجد أجمل من هذه الصورة القرآنية ولا أكثر دلالة للتعبير عن المعنى الذي في نفسه، و هذا يعني أن مسلمالا يتلاعب بالألفاظ من أجل حشدها، أو لمجرد الإقتباس وإنما يوظفها لتعبر عن الحالة التي عاشها أو أراد أن يشير إليها، مما يدفع مخيلة القارئ لتأمل هذه الصورة الجميلة التي تحدث عند أفول الليل وانبلاج النهار.

كما نستطيع أن نلمس الحس القرآني عنده من خلال بعض الألفاظ التي استمدها من القرآن الكريم، واستطاع ان يستثمرها ويوظفها لخدمة النص الشعري ومنها (الرزق، والإنس، والجن، والفلق، والصلاة، والصوم، والإسلام، والحج، والرحمة)[5].

(١) شرح ديوانه ص ٢٨٠، الحدس – التخمين.
(٢) سورة مريم الآية ٢٨.
(٣) شرح ديوانه ص ١٣٣-١٣٤.
(٤) سورة التكوير الآية ١٨.
(٥) ينظر شرح ديوانه ص٢١، ١٩٣،١٧٨،٦٦،٦٣،٦٢، ٣٢٩.

وتثقف مسلم بالمصدر الثاني من مصادر الإسلام وهو سنة النبي محمد (ﷺ)، وذلك بين من خلال اقتباسه ألفاظا من الحديث النبوي فضلا عن تمثله بالمعاني الإسلامية الحميدة في الجهاد والشجاعة والكرم والعدل والعفة وعزة النفس والإباء والإيمان بالقدر، وتصويره القيم والمثل الخلقية في ممدوحيه، والتعبير عن صلة الرحم وذكر الموت والوعظ والإيمان بقضاء الله وقدره وطلب الرزق، وما إلى ذلك من المبادئ الإسلامية التي ملأت مخيلته كقوله:(الطويل)

سل الناس إني سائل الله وحده وصائن عرضي عن فلان وعن فل (١)

استحضر قول الرسول (ﷺ)[لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه] (٢) ليبين أنه عفيف النفس لا يتوكل إلا على الله.

وفي القناعة والرضا بالقليل يقول:-(الطويل)

دعيني أقف عزمي مع العدم قانعا ووجهي جديد الصون لم يتبذل (٣)

تأثر بحديث الرسول (ﷺ) [لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم](٤).

و أحيانا لا يشير إلى معنى الحديث الظاهر، وإنما يستمد منه بعض المعاني الاسلامية، ففي قوله:- (البسيط)

عودت نفسك عادات خلقت لها صدق الحديث وإنجاز المواعيد (٥)

تأثر بقول الرسول (ﷺ) [آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان].(٦)

---

(١) شرح ديوانه ص٢٦.
(٢) صحيح البخاري – للبخاري (ت ٢٥٦ هـ) ٦/٢ وينظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) ١٧٠/٢-١٧١، فقد ورد الحديث والبيت في باب السؤال.
(٣) شرح ديوانه ص٢٥.
(٤) رياض الصالحين – للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)ص ٢٠٦، متفق عليه، المزعة – القطعة.
(٥) شرح ديوانه ص١٧١.
(٦) رياض الصالحين ص ٢٤٨، متفق عليه.

ذكر الحديث صفات المنافق والتي تكون ضدها صفات المؤمن، و هي صدق الحديث، والالتزام بالو عد، والو فاء بالأمانة، و هي المعاني التي أسبغها مسلم على ممدوحيه ليشير من خلالها إلى عمق إيمان الممدوح وصدقه. و هذه النفحات الإيمانية تدل على أن الروح الديني مترسخ في أعماقه، لأن الفنون ومنها الشعر تعبر عن (لغة المشاعر والروح الديني)[١].

واستمد بعض صوره العقلية من الأحكام الشرعية الإسلامية؛ فالحج والإحرام فريضة إسلامية استمدها مسلم ليرسم صورة عقلية عبر فيها عن حبه وهجره الدنيا بعد حبيبته، إذ جعل للهوى حجة، والعشاق تحج، وجعل لحبيبته أثوابا يحرم بها:-

حججت مع العشاق في حجة الهوى وإني لفي أثواب حبك محرم [٢] (الطويل)

ويخاطب طليقته بروح إيمانية، مؤمنا بالقضاء والقدر، وأنه فارقها غير ذميمة لكن الله سبحانه قدر ذلك: (الطويل)

أجارتنا ما في فراقك راحة ولكن مضى قول فأنت به بسل

فبيني فقد فارقت غير ذميمة قضاء دعانا للقطيعة لا الختل [٣]

(١) القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه – ثريا عبدالفتاح ملحس ص٢٧.
(٢) شرح ديوانه ص١٧٨، وينظر ص١٠ فقد وظف المعنى في صورة حسية أخرى عندما شبه الممدوح بالبيت لأن الناس تقصده من كل بلد طلبا للعطاء.
(٣) م.ن ص٨٩، الختل – الخيانة والغدر.

وذكر الموت والأجل عندما صور صبره على بلوى الحب حين ظعن الأحباب[١].

وعند مدحه الخلفاء والأمراء خلع عليهم الصفات والقيم الدينية والتعاليم الإسلامية الخالدة، فصور الأمين (ت ١٩٨هـ) خليفة الله في الأرض، وأنه مثبت الملك، وأمين الله وأكرم الناس، وأحيت يداه الندى والجود، وعمت مكارمه الدنيا [٢].

ولشدة إيمان الممدوح صار التوفيق إلى الخير من نصيبه، إذ إن الله سبحانه يعينه ويوفقه على كل حدث يحدثه [٣].

وجعل يزيد بن مزيد (ت ١٨٥هـ) ممن يوصل صلة الرحم في رجاء ثواب الله تعالى[٤].

وذكر سنة الرسول (ﷺ) وبأس الإمام علي (عليه السلام) في إشارة إلى شجاعة الممدوح: (البسيط)

أذكرت سيف (رسول الله) سنته وبأس أول من صلى ومن صاما [٥]

وعند رثائه يزيد بن مزيد جعله حامي المجد والإسلام:(الوافر)

أحامي المجد والإسلام أودى فما للأرض ويحك لا تميد

تأمل هل ترى الإسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد [١]

---

(١) ينظر م.ن ص ١٧٢.

(٢) ينظر م.ن ص ٢١٧-٢١٩، وينظر ص ٢٢ فقد صور الممدوح مشغولا بالمعروف بعدما تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها.

(٣) ينظر م.ن ١٥٨.

(٤) ينظر شرح ديوانه ص ٦٧، ويزيد بن مزيد بن زائده الشيباني أمير من القادة الشجعان المشهورين كان واليا بأرمينية وأذربيجان انتدبه هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ) لقتل الوليد بن طريف الشيباني الخارجي، فقتله سنة ١٧٩ هـ و عاد إلى أرمينية و توفي برذ عه (من بلاد اذربيجان) ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس٦/٣٢٧-٣٢٨.

(٥) شرح ديوانه ص٦٦، وروي أن هارون الرشيد لما جهز يزيد لقتل الوليد أعطاه ذا الفقار سيف النبي (ﷺ) وقال له: خذه يا يزيد فإنك ستنتصر به، فأخذه ومضى، فهزم الوليد وقتله – تنظر الرواية في وفيات الأعيان ٦/٣٢٩.

وعلى الرغم من أن الجود بالنفس من المعاني التي تداولها الشعراء منذ العصر الجاهلي، إلا أننا نستطيع القول إن قوله: (البسيط)

تجـود بـالنفس إذ أنـت الضـنين بهـا والجود بالنفس أقصى غاية الجود [٢]

الذي ملأ الدنيا قديما وحديثا، وقيل إنه أجود بيت قالته العرب [٣]، استمده من المعاني الإسلامية، لأن التضحية بالنفس تمثل أقصى ما يقدمه المسلم في سبيل الوطن.

ومن المعاني الإسلامية الأخرى التي صورها الذحر يوم العيد، والتوبة الى الرحمن والتبتل في الحب [٤].

ووصفه لأبي نواس (ت ١٩٨هـ) بأنه: يحيل في كثير مما يقول ويتخطى صفة المخلوق إلى صفة الخالق عز وجل[٥] يدل على تشربه المعاني والقيم الإسلامية التي لا يمكن تجاوزها والتعالي عليها في الشعر. وصور مفهوم الخلق الرفيع والمؤاخاة الحسنة والمواددة التي دعا إليها الإسلام [٦].

الثقافة التاريخية:

---

(١) شرح ديوانه ص١٤٧.

(٢) م.ن ص ١٦٤، ووردت في بعض كتب الأدب – إذ ضن الجواد بها، ينظر مثلا الأغاني للأصبهاني (ت٣٥٦هـ) ٣٤/١٩.

(٣) ينظر ديوان المعاني ١٠٣/١، وينظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ٩٧/١٣.

(٤) ينظر شرح ديوانه ص ١٥٥، ١٩٣، ١٤٢.

(٥) قال مسلم أما مأحال فيه فقوله:-

وأخفـت أهـل الشـرك حتـى أنـه لتخافك النطف التي لم تخلق (الكامل)

فهذا مستحيل وأما ماتخطاه من وصف المخلوق إلى صفة الخالق عز وجل قوله: (المنسرح)

يجـل أن تلحـق الصـفات بـه فكـل خلـق لخلقـه مثـل

فهذا من الاغراق المستحيل في العقول – تنظر الرواية في الموشح للمرزباني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق محمد البجاوي ص ٤٣٧-٤٣٨، وينظر ديوان أبي نواس – برواية الصولي – تحقيق الدكتور بهجة عبدالغفور الحديثي ص ٨٠٢،٤٧٩.

(٦) ينظر شرح ديوانه ص ٢٩٢، ٣٣٠

وتأتي الكتب المقدسة مصدرا مهما من مصادر الصورة عند مسلم، فقد تأثر بالحكم والأمثال التي حملتها الكتب المقدسة واستلهمها في خلق صوره الشعرية، فقد روي أنه قيل لمسلم: أي شعرك أحب إليك ؟ قال: إن في شعري لبيتا أخذت معناه من التوراة وهو قولي:- (البسيط)

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان اعطاني [1]

أشار إلى زوال الدنيا وعبر عن زوال شبابه وماله واعتلاء المشيب شعره باسترجاع الدهر ما كان له يوما ما.

وعد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) قول مسلم في ذم الدنيا من فرائد قلائده الأنيقة، وأبيات قصائده العجيبة [2]. وهذا يعني أن مسلما كانت له دراسات متنوعة، فقد درس التوراة وفهم معانيه [3]. وكانت ثقافته التاريخية من أغنى مصادر صوره [4]. ونرى في صوره بعض المعاني والطقوس المسيحية، إذ شبه النساء في إحدى صوره بمصباح الراهب في ظلمة الليل:- (الكامل)

وسفرن عن غرر الوجوه كأنها بالليل مصباح ببيعة راهب [5]

ويرد ذكر الراهب في صورة أخرى، فقد شبه نفسه وخلوته مع حبيبته

---

(١) ينظر الأغاني ٤٥/١٩، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي (٩٦٣ هـ) ، وشرح ديوانه ص ١٢٢.

(٢) ينظر خاص الخاص – ص ١١٤.

(٣) يبدو أن مسلما تأثير بالأمثال والحكم التي تناثرت في بعض اسفار العهد القديم، والتي تدعو إلى ذم الدنيا والتخلق بالحلم والحكمة والاخلاق الفاضلة ومخافة الله سبحانه وتعالى لأنه جعل للإنسان أياما معدودة، لذلك على الإنسان أن يتوب ويدعو إلى الفضيلة وذم الدنيا – ينظر الكتاب المقدس – العهد العتيق – المجلد الثاني – سفر الامثال ١٦٧-٢١٥، وسفر الجامعة ٢٠٧-٢٢٣، وسفر الحكمة ٢٣٨-٢٦٤، وسفر شيوع ابن سيراخ ٢٦٨-٢٣٦.

(٤) كان النقاد يحثون الشاعر على التزود بالاخبار القديمة – قال ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) عن الشاعر: (وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب، ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض انفاسهم ويقوي بقوة طباعهم)- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني ١٩٧/١.

(٥) شرح ديوانه ص ١٨٦.

بالراهب المتبتل فقال: (الطويل)

خلوت بها والليل يقظان قائـــم علـــى قـــدم كالراهـــــب المتبتـــل [1]

وذكر التماثيل التي كانت في الأديرة [2].

وعندما يريد أن يعبر عن شعور داخلي، أو يصور حدثا معينا فإنه يختار أجمل الصور وأدقها وأكثرها تأثيرا في المتلقي، فعندما أراد أن يعبر عن حبه لسحر وأنها أصبحت ملازمة له لاتفارقه اختار علاقة النصارى بالصليب: (الوافر)

فتنـــا للشـــقاء بحـــب سحـــــــر كمـــا فـــتن النصـــارى بالصـــليب [3]

ولا يتردد في استحضار الصور التي تعبر عن الغرض المنشود، فعندما أراد أن يصور شجاعة الممدوح استلهم حدثا قديما وهو قصة الفرزدق (ت ١١٠ هـ) مع سليمان بن عبدالملك (ت ٩٩هـ): (الكامل)

عجلـت يـداك لـه بضـربة خلسـة سـبقت بحـد السـيف حـد المجسـد

(١) م.ن ص ١٤٤.
(٢) م.ن ص ١٩٦.
(٣) م. ن ص ١٩٢.

فكتلك لا تلك التي ضاقت بها كف (الفرزدق) إذ يقال له قد [1]

وعندما مدح يزيد بن مزيد في قتاله الوليد بن طريف الخارجي، استحضر صورة الضحاك (ت ١٢٨هـ) الذي قتله مروان بن محمد (١٣٢هـ): (الكامل)

لولا سيوف (أبي الزبير) وخيله نشر (الوليد) بسيفه (الضحاكا)[2]

وأشار كذلك إلى حادثة عمرو بن العاص(ت ٤٣هـ) حينما بعث خارجة (ت ٤٣هـ) يصلي مكانه، فقتل بدلا منه[3].وعندما يصور حزنه وعذابه مع الجارية التي أحبها يشبه نفسه بالمحبين الذين سلفوا[4]، وذكر في صوره كذلك عهد نوح وعاد [5].

ولأن معرفة الأنساب تمثل لونا من ألوان التاريخ الاجتماعي[6]، فقد نوه في صوره بأنساب الممدوحين وأحسابهم، فذكر في صوره بني شيبان والصباح ومطر وفهر والشريكي وغيرها من الأنساب [7].

الأمثال: الأمثال من ألوان الثقافة التاريخية التي تناولها مسلم في صوره إذ إنه لم يستعمل المثل بهيئته المعروفة، وإنما كان يعدل بعض ألفاظه، أو كان يصوغ

(١) شرح ديوانه ص ٢٣٥، قد – اجز، وروي انه أتي إلى سليمان بأسرى من الروم وعنده الفرزدق، فدفع إليه أسيرا ليقتله، فدسوا له سيفا كليلا لا يقطع، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئا، فضحك سليمان والقوم، فأنشد الفرزدق شعرا بذلك – تنظر الرواية في تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد الطبري (ت٣١٠ هـ) ٥٤٧/٦-٥٤٨، وينظر الشعر والشعراء لأبن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ٣٨٩/١-٣٩٠.

(٢) شرح ديوانه ٩٧، وتنظر حادثة قتل الضحاك في تاريخ الطبري ٣٤٤/٧-٣٤٦.

(٣) شرح ديوانه ٣٢٧، وتنظر الرواية في تاريخ الطبري ١٤٩/٥.

(٤) ينظر شرح ديوانه ص ٣٤.

(٥) ينظر م.ن ص ٢٤١، ٢٢٤.

(٦) ينظر المكونات الأولى للثقافة العربية - الدكتور عز الدين اسماعيل ص ١٦٤.

(٧) ينظر شرح ديوانه ص٢٣٦،٦٨،١٥،٧، وشيبان والصباح ومطر وفهر والشريكي من بطون العرب وتنسب إليها عدد من القبائل العربية – ينظر الأنساب للامام التيمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ٩٧/٨، ١٩٨، ٢٧٢، ٢٦٨/١٠، ٣١٤/١٢.

المعنى العام بصورة تدلل على سعة ثقافته وقدرته على صياغة المثل صياغة جديدة، ومما تمثل به قولهم (أعط القوس باريها)[١].

فقال:- (البسيط)

وقلت حين أدار الكأس لي قمر الآن حين تعاطى القوس باريها [٢]

ومن الأمثال التي وظف معناها في صوره قولهم (لا يجمع سيفان في غمد)[٣]

فقد استمد المعنى من المثل دون الألفاظ فقال:-(الطويل)

وباينت حتى صرت للبين راكبا قرى العزم فردا مثل ما انفرد النصل[٤]

ثانيا: التراث الأدبي

يمكن أن نعد الثقافة الأدبية مصدرا مهما من مصادر الصورة عند مسلم، لأنها تعبر عن صلته الوثيقة بموضوعات الشعر العربي وأغراضه واستيعابه صوره، ذلك أن (أكثر المبدعين أصالة من كان تكوينه قائما على كم غير قليل من رواسب الأجيال السابقة، أو من روافد التيارات المعاصرة)[٥].

ولم يأت أثر هذا الموروث في شعره تضمينا فحسب، وإنما جاء على الأغلب في صياغة مختلفة تتناسب وحضارة العصر إذ (سار في تراكيبه على غرار الفحول المطبوعين، فيه جزالة وفصاحة ورقة وحلاوة، حتى ليمتزج..... بأجزاء الشعر الجاهلي أو الأموي فيجمع بين الحضارة والبداوة، ويختلط شعره بشعر الفحول في هذين العصرين)[٦]. ونرى في رأي الدكتور شوقي ضيف شيئا من الإسراف أو

(١) مجمع الامثال – الميداني (ت٥١٨ هـ) ٣٤٥/٢، ومعنى المثل استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه.
(٢) شرح ديوانه ص ٢١٧.
(٣) مجمع الامثال ١٨٤/٣.
(٤) شرح ديوانه ص ٩٢.
(٥) هكذا تكلم النص، د. محمد عبدالمطلب ص٥١، نقلا عن التناص بين القديم والجديد ص ٧٤ (بحث).
(٦) مقدمة شرح ديوانه ص ٤٧.

المبالغة في الحكم، لأنه يقول لم نجد عند مسلم (تجديدا في المعاني ولا ابتكارا في الموضوعات، فطرافته كلها تقف عند التصنيع ومايأتي به من زخرف أنيق ووشي كثير)[١]. ويبدو أن شيوع البديع في شعر مسلم هو الذي حدا الدكتور شوقي ضيف إلى إبداء رأيه هذا، لكن على الرغم من أن مسلما (احتذى حذو من سبقه من الشعراء من حيث الهيكل العام للقصيدة بصورة عامة، فإنه حاول أن يجدد في بعض أجزاء هذا الهيكل)[٢]، ثم أن إخراج المعنى القديم بحلة جديدة، وصياغة أخرى يمكن أن يعد تجديدا أو ابتكارا لأن الأبتكار على حد تعبير علي الجندي هو (تأليف صور جديدة لأشياء أخذت مادتها الأولية من صور ذهنية سابقة مرت في حياتنا)[٣]. ثم أن مسلما لم يكن اطلاعه على الأدب الموروث اطلاعا سطحيا، ولم يأت بالصيغ والمعاني في قصائده حشوا، وإنما كانت دراسته للشعر (دراسة الصانع لدقائق صنعته، فيحكم عمله، ويعرف مواطن القوة والضعف في عمل غيره)[٤]. وكان دقيقا في اختيار ألفاظه وتكوين صوره، فقد روي أنه كان ينشد عند يزيد بن مزيد فلما انتهى إلى قوله:

تـراه فـي الأمـن فـي درع مضاعفـة لا يـأمن الـدهر أن يـدعى علـى عجـل

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف ص١١٨.

(٢) مسلم بن الوليد – صريع الغواني ص١٤٧.

(٣) فن التشبيه ٨٨/٣، وتناول الباحث فؤاد حنا ترزي هذه المسألة ووضح القول فيها، وذكر أن مسلما حاول التجديد حين سعى إلى التوفيق بين غزله التقليدي في مطلع قصائده، وبين ظروف حياته الخاصة في بعض مدائحه التي ذكر فيها كهولته واستشهد بقصيدته التي مطلعها:-

قد اطلعت على سري وإعلاني فاذهب لشأنك ليس الجهل من شاني

فقد وجد أن الغزل لايتلاءم والظرف الذي كان فيه، فحاول ان يوائم بين ذاته وبين تقاليد الشعراء، وطلب من رفيقه أن لايجبره على التغزل بعد أن ترك الجهل، ومن حيث تقاليد الشعراء أخذ يذكر حبه القديم، وذكر الباحث أن في التقريب بين الشعر والذات خطوة في سبيل التجديد في هذا الميدان. وذكر شاهدا آخرا على تجديد مسلم، وهو استبداله أداة السفر إلى الممدوح، إذ كان الشعراء يصفون الناقة التي سافروا عليها، أما مسلم فقد استبدل أداة السفر بحيث أصبحت أكثر ملاءمة لحياته الجديدة فوصف السفينة عوضا عن الناقة. ينظر مسلم بن الوليد صريع الغواني ص ١٤١-١٤٣ وينظر شرح ديوانه ص ١٠٣، ١٢١-١١١.

(٤) صريع الغواني مسلم بن الوليد ص ٤٦.

قال له يزيد: هلا قلت كما قال أعشى بكر بن وائل في مديح قيس بن معد يكرب:

وإذا تجـــيء كتيبـــة ملمومـــة شهباء تجتنب الكماة نزالها (الكامل)

كنـت المقـدم غيـر لابـس جنـة بالسـيف تضـرب معلمـا أبطالهـا

فقال مسلم: قولي أحسن من قوله لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم [١].

إن مسلما تأثر بالتراث الأدبي، لكنه لم يكن مقلدا إنما كان يمتلك وعيا ابداعيا أهله لصياغة الأفكار القديمة صياغة جديدة،و من ذلك قوله في يزيد بن مزيد:- (البسيط)

تجـود بـالنفس إذ أنـت الضـنين بهـا والجود بالنفس أقصى غاية الجود [٢]

فقد أخذ فكرة البيت من قول علقمة بن عبدة:- (الطويل)

تجـود بـنفس لايجـاد بمثلهـا وأنـت بهـا، يـوم اللقـاء تطيـب [٣]

إن حسن صياغة بيت مسلم وزيادة المعنى، وإخراجه بهذه الصورة، جعله يعلو في الآفاق ويطغي على بيت علقمة.

وإن معالم التكرار في التشبيهات والصور من الأمور الطبيعية، لأن معظم الشعراء كانوا يدورون حول معان متعارف عليها[٤]، وتكمن الجودة في حسن الصياغة وجودة السبك.

---

(١) تنظر الرواية في وفيات الاعيان ٣٣٤/٦. وينظر شرح ديوان مسلم ص ١٢، وديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق م. محمد حسين ص٣٣، ووردت الأبيات في الديوان مع اختلاف في بعض المفردات. وقيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة الكندي من قحطان ملك جاهلي يماني خلف أباه في الملك واستمر في الملك نحو عشرين عاما، مات قتيلا في إحدى وقائعه مع قبيلة (مراد). ينظر الأعلام للزركلي ٢٠٨/٥.

(٢) شرح ديوانه ص ١٦٤.

(٣) ديوان علقمة الفحل. حققه لطفي الصقال، ودرية الخطيب ص ٤٦.

(٤) ينظر الطبيعية في الشعر الجاهلي د. نوري حمودي القيسي ص ٣٣٣.

أما ملاحقة الطيور والحيوانات الممدوح فهي فكرة عربية قديمة صورها عدد من الشعراء، فقد قال النابغة: (الطويل)

إذا ماغزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب (١)

فأخذ مسلم المعنى وقال:- (البسيط)

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل (٢)

فقد جعل الطير تثق بالممدوح، لذلك هي تلاحقه أينما حل، فهو أخذ الفكرة نفسها، لكنه جعل العلاقة بين الممدوح والطير أكثر قربا لبيان شجاعة الممدوح ومدى فتكه بالأعداء(٣)

وقال مسلم كذلك:-(الكامل)

أشربت أرواح العدى وقلوبها خوفا فأنفسها إليك تطير

---

(١) ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح كرم البستاني ص ١٠، العصائب – الجماعات.
(٢) شرح ديوانه ص١٢.
(٣) ويرى أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) أن اول من جاء بهذا المعنى هو الافوة الأودى فقال:- =

وترى الطير على آثارها رأى عين ثقة أن ستمارا (الرمل)

أخذه النابغة فقال: (الطويل)

إذا ماغزا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانح، قد ايقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

أخذه االحطيئة (نحو ت ٤٥هـ) فقال:

ترى عافيات الطير قد وثقت لها بشيع من الخيل العتاق منازلة (الطويل)

وأخذه حميد بن ثور (ت نحو ٣٠هـ) فقال:

إذا ما عزا يوما رأيت غمامة من الطير ينظرن الذي هو صانع (الطويل)

وأخذه مسلم فوفى على الأول. ينظر البديع في نقد الشعر ص ٢٢٤-٢٢٥
وينظر ديوان الحطيئة ص٧٩، وديوان حميد بن ثور ص١٠٦، وحميد بن ثور الهلالي شاعر مخضرم عاش زمنا في الجاهلية، أسلم ووفد على النبي (ﷺ) ومات في خلافة عثمان. ينظر معجم الأدباء ١١ /٨-١٣.

لوحاكمتـــك وطالبتـــك بذحلـــها شـــهدت عليـــك ملاحـــم ونســـور [١]

وعد ابن الأثير هذه الأبيات من المليح البديع الذي فضل به مسلم على غيره في هذا المعنى، وقال معلقا على تصوير مسلم والمعنى الذي جاء به (وقد ذكر في هذا المعنى غير هؤلاء إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه، إلا من جهة حسن السبك، أو من جهة الايجاز ولم أر أحدا أغرب في هذا المعنى فسلك هذا الطريق مع اختلاف إليها إلا مسلم بن الوليد)[٢].

إن اغلب الصور التي استقى مسلم معانيها من التراث اكتسبت عنده دلالات جديدة،وعلى الرغم من أنه اعتمد على السابقين في بعض صوره ومعانيه إلا أنه لم يسط على معانيهم، ولكنه تناولها بالتهذيب أو الزيادة، أو يرمي بها إلى غرض آخر غير غرض السابقين[٣].

فقد قال الضحاك بن قيس الحارثي:-(الطويل)

يـــذكرنيهم كـــل خيـــر رأيتـــــه وشر فما انفك منهم على ذكـر [٤]

فأخذه مسلم وزاد في المعنى والتفصيل فقال:- (الطويل)

يـــذكرنيك الـــدين والفضـــل والحجـــا وقيـــل الخنـــا والحلـــم والعلـــم والجهـــل

فألقـــاك عـــن مذمومـــها متنزهـــا وألقـــاك فـــي محمودهـــا ولـــك الفضـــل

وأحمـــد مـــن أخلاقـــك البخـــل إنـــه بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل[٥]

---

(١) شرح ديوانه ص٢٢٣.

(٢) المثل السائر ٤٠٣/٢.

(٣) ينظر صريع الغواني مسلم بن الوليد ص١٩٠ وتنظر الشواهد التي اوردها، ويسمي بعض المحدثين هذا التأثير تناصا وهو قد يكون كلمة تقود او تدل على النص الذي أخذت منه، وقد يكون جملة ذات دلالة ما = =ولكنها موحية لها، وقد يكون عبارة أو بيت شعر، وهناك تناص الافكار التي تستنتج استنتاجا وتستنبط استنباطا من النص – ينظر التناص بين القديم والجديد ص ٤٨(بحث).

(٤) الاشباه والنظائر – الخالديان ١٥٣/٢، ولم نعثر له على ترجمة أو ديوان مطبوع.

(٥) شرح ديوانه ص٣٣٣.

وعلق الخالديان على هذه الابيات بقولهما (وما نعرف في هذا المعنى أحسن من هذه الابيات، فكل من رامها قصرعنها ولم يبلغ مداها)[١]، فهو يقول اذا رأيت جاهلا ذكرت علمك وحلمك، واذا رأيت جوادا ذكرت زيادتك عليه وإذا رايت بخيلا ذكرت جودك.

وأما قوله: (البسيط)

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل [٢]

فقد ذكر الآمدي [٣] (ت٣٧٠هـ)أنه أخذ المعنى من قول جرير (ت١١١هـ):(الطويل)

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا [٤]

أراد مسلم هنا المبالغة في وصف شجاعة الممدوح يزيد بن مزيد، في حين افتخر جرير بشجاعة قومه لذلك اختلف الغرض عندهما، أما جرير فقد استعمل اللفظ على الحقيقة وقصر الصورة على التشبيه، في حين نجد مسلما أعطى الصورة بعدا موضوعيا باعتماده على المجاز حينما قال نفوس الناكثين فأصبح بيت مسلم أحق بالمعنى من بيت جرير، حتى وصفه أبو هلال العسكري بأنه من أحسن ما وصف به الرأس إذا حمل على القناة [٥].

أما قوله:- (الوافر)

أحب الريح إن هبت شمالا وأحسدها إذا هبت جنوبا [٦]

(١) الاشباه والنظائر ١٥٤/٢ .
(٢) شرح ديوانه ص ١١.
(٣) ينظر الموازنة ص٦٨، وينظر كذلك قراضة الذهب – لابن رشيق القيرواني ص ٣٩. والرسالة الموضحة للحاتمي (ت٣٨٨هـ) تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ص ٨٩-٩٠.
(٤) لم نعثر على البيت في ديوان جرير – طبعة دار صادر
(٥) ديوان المعاني ٧١/٢، وينظر مسلم بن الوليد بين نقاده القدامى والمحدثين رسالة ماجستير ص ١٢٧.
(٦) شرح ديوانه ص ٢٧٤.

فقد أخذ معناه وزاد عليه من قول جران العود: (الطويل)

إذا الريح من نحو الحبيب تنسمت وجدت لمسراها على كبدي بردا [1]

فمسلم لم يكتف للتعبير عن حبه بارتياحه لريح الحبيبة كلما هبت عليه الرياح، وهذا ما أراده جران العود، وإنما زاد في المعنى وحسد الرياح التي تلامس حبيبته، وهذا المعنى أكثر دلالة من معنى جران العود في التعبير عن عاطفة الشاعر.

أما قوله:-(الطويل)

إذا ما مشت خافت نميمة حليها تداري على المشي الخلاخيل والعطرا[2]

فقد أخذ المعنى من قول ابن أبي زرعة في قوله:-(الكامل)

فاستكتمت خلخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقا

حتى إذا ريح الصبا نسمت ملأ العبير بسرنا الطرقا [3]

وعلى الرغم من أن مسلما استكمل المعنى في بيت واحد إلا أن الصورة في بيتي ابن أبى زرعة أدق وأحسن تعبيرا، وقد ذكر الخالديان أن العرب تمدح المرأة بصمت الخلخال، والسوار لامتلاء الساق والذراع[4].

ويتضح لنا كذلك أن مسلما لا يعمد الى التكرار والتقليد عندما يستمد معانيه من التراث، وإنما يعمد إلى إعادة صياغتها بما يخدم فكرته للتعبير عن الغرض الذي يقصده.

أما قوله: (البسيط)

تجري محبتها في قلب عاشقها جري السلامة في أعضاء منتكس[1]

---

(١) ديوان جران العود النميري. صنعه أبى جعفر محمد بن حبيب، تحقيق وتذييل الدكتور نوري القيسي ص١٠٧، واختلف في تحديد عصر الشاعر، فقيل هو جاهلي وقيل إسلامي، وترجمته في الديوان، وينظر كتاب الصناعتين ص٢٠٧-٢٠٨ فقد رد البيت مع بعض الاختلاف.

(٢) شرح ديوانه ص٤٥.

(٣) الاشباه والنظائر ٧٤/٢، ولم نعثر على ترجمة للشاعر ونسبه الحصري (ت٤٥٣ هـ) إلى دمشق عند ذكره الأبيات، ينظر زهر الآداب ٣٩٣/١.

(٤) ينظر الأشباه والنظائر ٧٤/٢.

فقد جاء في كتاب الصناعتين [٢] أنه أخذه من قول بعض ملوك اليمن:- (الكامل)

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي

تجري على كبد السماء كما يجري حمام الموت في النفس

لكن بيت مسلم في الغزل بينما يصف هذا الملك الشمس وجريانها في السماء، وأن صورة مسلم تبعث على الأمل والشفاء والسعادة والحياة، في حين شبه الآخر بطء جريان الشمس بصورة حزينة تبعث الألم والأسى في النفس، وهي صورة جريان حمام الموت في النفس، وفي الوقت الذي لاءم فيه مسلم بين المشبه والمشبه به لا نرى هذا التلاؤم في الصورة الاخرى، إذ إن صورة الشمس وطلوعها تدل على الحياة والنور، والأمل، فيكف لاءم بينها وبين المشبه به؛ وهو جري حمام الموت في النفس ؟ وكذلك نرى أن مسلما وظف المعنى أو الفكرة في صورة مغايرة وغرض آخر.

وما يدلل على ولعه بالصورة الشعرية بحثه عنها، ليبوح من خلالها بمشاعره وتجاربه، فنراه يرسم تمثالا في التراب لحبيبته في خلوته ويشكو ويتضرع له فيقول:

وإني لأخلو مذ فقدتك دائبا فأنقش تمثالا لوجهك في الترب

فأسقيه من عيني وأشكو تضرعا إليه بما ألقاه من شدة الكرب [٣]

فلم يلجأ إلى التقرير المباشر للتعبير عن وحشته وحزنه وإنما راح يرسم صورا حسية عبرت عما أراد أن يقوله، وليس الرسم والخط في التراب من الصور العباسية الجديدة، إنما هي من صور البيئة البدوية العربية القديمة التي تأثر بها مسلم، فقد قال ذو الرمة (ت ١١٧هـ): (الطويل)

---

(١) شرح ديوانه ص٣٢٥، وورد في بعض كتب الأدب مجرى المعافاة بدلا من جري السلامة – ينظر كتاب الصناعتين ص ٢٠٧.

(٢) ينظر ص ٢٠٧ وينظر معاهد التنصيص ٣٣/٤.

(٣) شرح ديوانه ص٢٨٨.

عشـية مـالي حيلـة غيـر أننـي بلقط الحصى والخط في الترب مولع

أخـط وأمحـو الخـط ثـم أعيـده بكفـي والغربان في الدار وقع (١)

و شبه و جوه الحسان في ظلمة الليل بمصباح يو قد في دور الرهبان فقال: (الكامل)

وسـفرن عـن غـرر الوجـوه كأنهـا بالليـل مصـباح ببيعـة راهـب (٢)

فقد تأثر بتصوير امرئ القيس في قوله:- (الطويل)

نظـرت إليهـا والنجـوم كأنهـا مصابيـح رهبـان تشـب لقفـال (٣)

وجاء في المصون في الأدب للعسكري (٤) (ت٣٨٢هـ) أن قول مسلم: (الكامل)

تمشـي العرضـنة قـد تقسـم طرفهـا وضح الطريق وخوف وقع المحصد(٥)

أخذه من قول الشماخ:

وتقسـم طـرف العـين نصـفا أمامهـا ونصـفا تـراه خشـية السـوط أزورا

يتضح أن مسلما تأثر ببيت الشماخ لكنه غير صياغة البيت بألفاظ أكثر فصاحة وجزالة.

ومن المعاني والصور الجميلة التي استلهمها مسلم ووظفها لغرض آخر قوله:

مسـتعبر يبكـي علـى دمنـة ورأسـه يضـحك فيـه المشـيب (١)

---

(١) ديوان شعر ذي الرمة – تحقيق كارليل هنري هيس مكارتني ص ٣٤٢-٣٤٣.
(٢) شرح ديوانه ص١٨٦.
(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٤١، وينظر ص ٤٦ فقد قال في معلقته: (الطويل)
تضـيء الظـلام بالعشـاء كأنهـا منـارة ممسـى راهـب متبتـل

(٤) ينظر ص ٧٠-٧١.
(٥) ورد في الديوان (تحدي) بدلا من (تمشي) و(مس) بدلا من (وقع). ينظر شرح ديوانه ص ٢٣٢ العرضنة: ضرب من السير، المحصد: المقتول.
(٦) ورد في الديوان (شطرا) بدلا من (نصفا)و(اخزرا) بدلا من (أزورا). ينظر ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. حققه وشرحه صلاح الدين الهادي ص١٣٧.

فقد أخذ المعنى من قول الحسين بن مطير (١٦٩هـ)(الخفيف)

كـــل يـــوم بـــأقحوان جديـــد تضحك الارض من بكاء السماء [٢]

فقد أخذ مسلم المعنى ونقله إلى معنى آخر، إذ إن الصورة عند ابن مطير تدل على البهجة، فالأرض تضحك لبكاء السماء لما يعقب ذلك من خير واخضرار، في حين نجد الصورة عند مسلم عكس ذلك فهو يبكي لأن المشيب ضحك برأسه وما يعقبه من أسى الشيخوخة.

وجاء في الاشباه والنظائر [٣] أن من جيد ما قيل في صفة الثغر ونادره قول مسلم:

تبسـمن عـن مثـل الأقـاحي تبسـمت له مزنة صيفية فتبسما (الطويل)

وهو مأخوذ من قول بشر بن أبي خازم:(الوافر)

يفلجـــن الشـــفاة عـــن اقحـــوان جـــلاه غـــب ســـارية قطـــار [٤]

إن مسلما أخذ المعنى من بيت بشر إلا أنه صاغه صياغة حضرية تتلاءم والبيئة العباسية.

ومن المعاني التي استمدها من التراث وجمع فيها بين الحسن والشجاعة قوله:

تمضـي المنايـا كمـا تمضـي أسنتـه كـــأن فـــي ســـرجه بـــدرا

---

(١) شرح ديوانه ص٣٠٦.

(٢) شعر الحسين بن مطير الأسدي. جمعه وحققه الدكتور محسن غياض ص٣١، وهو شاعر متقدم في القصيد والرجز من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان زيه وكلامه كزي أهل البادية وكلامهم. ينظر معجم الأدباء - لياقوت حموي (ت٦٢٦هـ) ١٠/١٦٦-١٧٤.

(٣) ١/١٦٤ وينظر شرح ديوانه ص٣٤٠.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي – تحقيق الدكتور عزة حسن ص٦٣، يفلجن – يفتحن، غب سارية: بعد سارية، والسارية: السحابة التي تأتي ليلا، والقطار: جمع قطر يريد قطر المطر، وبشر شاعر جاهلي فحل من الشجعان من أهل نجد، شهد حرب أسد وطيء، توفي قتيلا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، ينظر الشعر والشعراء ص ١٩٠ والاعلام ٢/٥٤.

(٥) شرح ديوانه ص٦٥.

فقد أخذ المعنى من قول النابغة في مدح النعمان:(البسيط)

أخلاق مجدك جلت، مالها حصر في البأس والجود بين البدو والحضر

متوج بالمعالي، فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر[1]

وقد ضمن شعره بعض المفردات والألفاظ التراثية، فمزج بين الأسلوب القديم الجزل وبين الأسلوب الحضاري السهل، وحافظ على الأصول التقليدية للقصيدة، فمن شعره الذي ضمنه مفردات جاهلية قوله: (البسيط)

وليلة خلست للعين من سنة هتكت فيها الصبا عن بيضة الحجل[2]

إذ استعار البيضة للحجل مثلما استعارها امرؤ القيس للخدر في قوله: (الطويل)

وبيضة خدر لايرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل [3]

وذكر أسامة بن منقذ[4] أن قول مسلم: (الكامل)

ولقد سما للخرمي، فلم يقل يوم الوغى،إني تضايق مقدمي

ضمنه من قول عنترة العبسي: (الكامل)

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها، ولكني تضايق مقدمي [5]

وممن عبر عن الضفائر بالقرون ذو الرمة، إذ قال: (الطويل)

---

(١) ينظر ديوان المعاني ٢٠/١، ووردت في الديوان (خطر) بدلا من (حصر) و(بين العلم والخبر) بدلا من (بين البدو والحضر)، ينظر ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح كرم البستاني ص٧٤، وهناك معان اخرى اخذها مسلم من الشعراء المتقدمين ينظر الاشباه والنظائر ١٦٥/١، ٢١٢-٢١٣/٢، ١٤٥-١٤٦، ديوان المعاني ٢١،٢٧٧/١، صريع الغواني- ابراهيم الكواز ص٧٩، صريع الغواني- حسن علوان ص٣٧-٣٨.

(٢) شرح ديوانه ص٤.

(٣) ديوان امرئ القيس ص٣٨.

(٤) ينظر البديع في نقد الشعر ص٢٤٩، والبيت غير موجود في شرح ديوان مسلم.

(٥) ديوان عنترة بن شدا د– تحقيق فوزي عطوي ص ١٧، لم أخم: لم اجبن، مقدمي: موضع أقدامي.

إذا انجردت إلا من الدرع وارتدت غـــدائر ميـــال القـــرون ســـخام[١]

فأخذه مسلم وقال:- (الطويل)

أجـــدك مـــا تـــدرين أن رب ليلـــة كـــأن دجاهـــا مـــن قرونـــك ينشـــر [٢]

أما قوله:-(الكامل)

حـــرب يكـــون وقودهـــا أبناؤهـــا لقحـــت علـــى عقـــر ولمـــا تـــنفس [٣]

فقد أخذ فكرته (حمل الحرب بعد عقر) من قول زهير:- (الطويل)

إذا لقحـــت حـــرب عـــوان مضـــرة ضـــروس تهـــر النـــاس أنيابهـــا عصـــل

قضـــاعية أو أختهـــا مضـــرية يحـــرق فـــي حافاتهـــا الحطـــب الجـــزل[٤]

أما قوله: (الطويل)

دعـــوت أميـــر المـــؤمنين ولـــم تكـــن هنـــاك ولكـــن مـــن يخـــف يتجشـــم

وإنـــك إذ تـــدعو الخليفـــة ناصـــرا لكـــالمترقي فـــي الســـماء بسلـــم [٥]

فقد ضمنه قول زهير في معلقته: (الطويل)

ومـــن هـــاب أســـباب المنايـــا ينلنـــه وإن يـــرق أســـباب الســـماء بســـلم[٦]

وكان مسلم لا يتوانى في أخذ المعنى حتى من معاصريه وصوغه في صور جديدة، فقد قال أبو نواس: (مجزوء الرمل)

بـــح صـــوت المـــال ممـــا منـــك يبكـــي ويصـــيح

---

(١) ديوانه ص٦٠١.
(٢) شرح ديوانه ص٣١٦.
(٣) م.ن ص ١٣٥.
(٤) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى – شرح وتعليق حجر عاصي ص٨٩-٩٠، لقحت: حملت، كناية عن الاشتداد والقوة، العوان:الحرب مرة بعد مرة، تهر الناس: تجعلهم يهرونها أي يكرهونها، عصل:كالحة معوجة إشارة الى قوة الحرب وقدمها، مضرة: ملحة.
(٥) شرح ديوانه ص٣٣٩.
(٦) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ١١٢.

مـــــا لهـــــذا آخـــــذ فـــــو ق يديـــــــــه أو نصـــــــــيح [1]

(١) ديوانه، تحقيق د. بهجة الحديثي، ص٣٧٩.

أخذه مسلم وأجاد صياغته فقال:(البسيط)

تظلم المال والأعداء من يده لازال للمال والأعداء ظلاما (١)

ومن مظاهر تأثره بالموروث الأدبي مقدمات قصائده التي حافظ فيها على التقاليد الموروثة، وترسم طريقة القدماء في الصياغة، والسبك، واختيار الألفاظ الجزلة، فالمقدمات الطللية والغزلية ولوحة الرحلة تمسك بها في مطلع كثير من قصائده، وتوزع مقدماته اتجاهان: قديم وجديد(٢)، فبعض قصائده افتتحها بالمقدمات الموروثة، التي صاغها صياغة فنية جديدة خلت من الصدق الفني وصدق الشعور، فنراه يقف على الأطلال ويناجي الديار، نحو قصيدته التي يقول فيها: (الكامل)

آثار أطلال " برومة" درس هجن الصبابة واستثرن معرسي

أوحت الى درر الدموع فأسبلت واستفهمتها غير أن لم تنبس

زج الهوى أو دع دموعك تبكه واجنح الى خطط المتالف واحبس

وكل الزمان الى البلى أطلالها فخلت معالمها كأن لم تؤنس (٣)

أو مقدمة قصيدته التي استهلها برحيل الاحباب قائلا:

هلا بكيت ظعائنا وحمولا ترك الفؤاد فراقهم مخبولا (الكامل)

أما الخليط فزائلون لفرقة فمتى تراهم راجعين قفولا (٤)

ففي هذه المقدمات وما تحمل من جزالة وجرس موسيقي وألفاظ جاهلية لا نحس أننا أمام شاعر عباسي، لكننا نشعر كأننا نقرأ لشاعر جاهلي ألف هذه الحياة

(١) شرح ديوانه ص٦٤، وينظر البديع في نقد الشعر ص١٨٧.
(٢) ينظر مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول – د.حسين عطوان ص ٧-٨.
(٣) شرح ديوانه ص١٣٠-١٣١، رومة: موضع، التعريس: النزول في وجه الصبح أو في الغلس، لراحة أو لأكل، هجن: حركن، الدرر: جمع درة وهي الدفعة من الدمع او من اللبن، النبس – الكلام، زج الهوى: أي ادفعه عن نفسك، المتالف: المهالك التي تتلف الأنفس، الخطط: جمع خطة وهي المرتبة مثل المنزلة – لم تؤنس: لم تسكن.
(٤) شرح ديوانه ٥٣، الظعائن: النساء في الهوادج، قفولا: أي قافلين في سفرهم، الخليط: الساكنون. وتنظر مقدمة قصيدته ص ٢٢٠-٢٢٤.

وتأثر بها. ونرى أن هذه المقدمات لا تعدو أن تكون أكثر من أساليب فنية تقليدية، استفتح فيها مسلم بعض قصائده لتأثره بالتراث الأدبي القديم، ولا يمكن أن نعد وصف الأطلال رمزا اتخذه الشعراء في العصر العباسي كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين [١]، إذ إن وصف الأطلال لا يخرج عن كونه وصفا تقليديا، فأين مسلم من رومة ووادي العقيق؟ وأين هو من هذه الظعائن والحمول[٢] وأين هو من رحلة الصحراء ؟ إنها لا تعدو أن تكون صورا مخزونة في ذاكرة الشاعر من التراث العربي القديم، لأن مشاهد الصحراء والوقوف على الأطلال لا تتفق مع قصور بغداد وضفاف دجلة والرياض والقصور وترف العباسيين.

ويرى الكفراوي [٣]أن وقوف مسلم وابن قنبر في المسجد وهجاء كل منهما للآخر واشتمال لغتهما على ألفاظ القوس والوتر والنار والأحجار وإمعانهما في التشبيه البدوي، يجعل الشبه بينهما وبين جرير وأمثاله من شعراء البوادي ملموسا.

أما الاتجاه الآخر من مقدماته فقد استمده من البيئة الحضرية، ومنها المقدمة الخمرية التي صور فيها مجالس الخمر واللهو والغناء [٤].

وحاول مسلم في بعض مقدماته أن يلائم بين الهيكل العام للقصيدة العربية الموروثة والتطور الحضاري العباسي، راسما بذلك صورا جديدة حديثة الأسلوب،

---

(١) يرى الدكتور شوقي ضيف أن وصف الأطلال عند الشعراء العباسيين يمثل عندهم رمزا للحياة ورحلة الشاعر فيها، وما يقتحمه من طرق عسيرة ملتوية، وتبعه في هذا الرأي عدد من الباحثين منهم الدكتور احمد الربيعي الذي يرى أن الشعراء المتحضرين اتخذوا من عناصر الأطلال ورحلة الصحراء البدوية رمزا، أما الأطلال فلحبهم الداثر، واما رحلة الصحراء فلرحلة الانسان في الحياة، ولا أظن هذا الرأي منطقيا لأن هذه المقدمات لم تتصدر سوى عدد معين من قصائد الشعراء العباسيين ومنهم مسلم. ينظر فصول في الشعر ونقده ص٥٨-٥٩، والرمزية في مقدمة القصيدة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ص١٥٩، ووحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي – حياة جاسم ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) ولتأييد ماذهبنا اليه ينظر مسلم بن الوليد لفؤاد حنا ترزي ص ١٧٩، واتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ليوسف حسين بكار ص٩١، ومقدمة القصيدة في العصر العباسي الاول لحسين عطوان ص ١٥٧.

(٣) تاريخ الشعر العربي ١٩/٢، وتنظر الرواية في الأغاني ٦١/١٩-٦٢.

(٤) ينظر شرح ديوانه ص٣٣-١٧٧،٤٣-١٨٣، ٢٠٠-٢١٦،٢٠٨- ٢٤٠،٢١٩-١٤١،٢٤٤-١٤٥، ١٨٩-١٩٠، ٢١٣-٢١٥، ٢٩٠.

لكنها صيغت بألفاظ جزلة قديمة، مدركا بذلك أن الشعر (اصبح فنا ..... يسير الشاعر فيه وراء الجمال)[١]، فنجده في بعض المقدمات يعتمد معاني القدماء عند رحلته إلى الممدوح، ولكنه يلونها ببديعه، فتتباين لوحات الرحلة عنده بصورها الفنية واستعاراتها وجمال تشبيهاتها [٢].

ومن مظاهر الحضارة استبداله وسيلة عصرية بأداة الرحلة تتلاءم وبيئته، فنراه يرحل الى الممدوح على ظهر سفينة قوية تتحمل المخاطر، أسهب في وصفها بصور وتشبيهات بدوية وألفاظ جزلة وتراكيب متينة، فشبه السفينة وهي تميل بجارية تتثنى وتتمايل وشبه الأمواج التي تضرب جانبي السفينة بالرياح التي تهب على الكثبان اللينة، وشبه صدر السفينة برأس ثور الوحش، وما الى ذلك من التشبيهات الصحراوية الأخرى [٣].

وكان للامتزاج الثقافي بين العرب والأمم الاخرى، واطلاع العرب على ثقافات تلك الامم أثر كبير في رقي الحياة العقلية، والازدهار الحضاري والثقافي والعلمي.

واستمد مسلم بعض صوره من تلك الثقافات، كما استمد من التراث، وأن اتخاذه البديع وسيلة للزخرف يعد انعكاسا لهذه الحضارة الجديدة [٤]،فقد روي أن مسلما (أول من ألطف في المعاني ورقق في القول)[٥] وأنه كان ذا (فهم وتجربة وتمييز ومعرفة)[٦]، ولا أظن هناك علاقة بين بديعه ومهنة النسيج التي امتهنها

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب – طه احمد ابراهيم ص٩٨.
(٢) ينظر شرح ديوانه ص٢٦٣،١٢٦،٧٣، وينظر ملامح فنية متميزة في شعر مسلم بن الوليد ص ٣٧١ (بحث).
(٣) تنظر القصيدة في شرح ديوانه ص١٠٥-١١١، وينظر وصف البحر والنهر في الشعر العربي د. حسين عطوان ص٧٠-٧١.
(٤) يرى فؤاد حنا ترزي أن الإكثار من استخدام البديع في العصر العباسي يعد من مظاهر التأنق والميل الى الزخرف الذي لازم الحياة العربية الرافهة في هذا العصر – ينظر – مسلم بن الوليد: صريع الغواني ص ١٣٥.
(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧١٢/٢.
(٦) جمهرة الإسلام ص٣٨ نقلا عن شرح ديوان مسلم ص ٤٣٠.

والده[١]، كما لايمكن ان نعزو سبب شيوع البديع في شعره إلى نفسه القلقة المضطربة، كما ذهب الى ذلك باحث معاصر[٢]، لأن البديع كان معروفا في الشعر العربي منذ القدم، وكان غرض ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) من تأليف كتاب البديع (تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع)[٣]، لكنه كثر وشاع عند المحدثين، ثم إن بشارا كان ضريرا لكنه اشتهر بالبديع قبل مسلم حتى قيل إنه اول من جاء به [٤]، ولم يتأثر بمهنة غيره.

ومن مظاهر استجابته لروح العصر والواقع الجديد تأثره بألفاظ الفلاسفة والمتكلمين ومصطلحاتهم[٥]، ومما يؤكد اتصاله باللغات الاخرى كاليونانية أو الفارسية أو ما ترجم منها، وجود الأثر الأجنبي في شعره من خلال بعض المفردات والتعبيرات غير المألوفة في الشعر العربي، كقوله: (البسيط)

استودع العين منها كلما برزت وجها من الحسن لا تلقى له بالا

(١) ذهب د. يوسف خليف الى أن مسلما رأى في صناعة ابيه مثلا قويا، إذ كان يراه يلاحم بين خيوطه ليخرج منها نسيجا متقنا، فمضى يصنع شعره كما كان يرى أباه ينسج خيوطه، ويضيف ان مسلما كان يلاحم بين خيوطه الفنية المتعددة الألوان ليخرج منها نسيجا محكما متقنا متعدد الألوان. يبدو ان للدكتور خليف قدرة خيالية واسعة كانت مصدرا لهذا النسيج وخيوطه المتعددة الالوان. ويضيف الدكتور خليف أن مسلما راح يسأل نفسه لماذا لا يجعل هذه الألوان والزخارف شيئا أساسيا في بنائه الفني ولماذا لا يجعل شعره براقا لامعا، فاستجاب وجعل شعره براقا لامعا، أعجبته التجارب الاولى فاندفع وراءها، ويستمر بالرواية التي جعلت مسلما نساجا على خطى أبيه. ولا أرى أن لإبرة التجديد اللغوي او الجاذبية اللغوية او المجال المغناطيسي اللغوي على حد تعبير الدكتور خليف أثرا لتجديد مسلم وبديعه، ثم ان في ديوان مسلم ما يشير الى اهتمام مسلم بالثقافات الاجنبية والدراسات الفلسفية التي أنكرها الدكتور خليف على مسلم وجرده منها – ينظر حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ص٦٩٧-٦٩٨.

(٢) حول شيوع ظاهرة البديع في الشعر العباسي –د. ضياء خضير عباس مجلة كلية الاداب – بغداد العدد ٣٢-١٩٨٢، ص١٤٠-١٤١ (بحث).

(٣) البديع لابن المعتز ص ٣.

(٤) ينظر طبقات الشعراء ص٢٣٥.

(٥) يرى د. أحمد كمال زكي أن سبب شيوع هذه الالفاظ هو وجود المعتزلة الذين عملوا على تعقيل الشعر – ينظر الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ص٣٧٢-٣٧٣.

فـالعين ليسـت تـرى شـيئا تسـر بـه حتـى تـرين لمـا اسـتودعت تمثـالا[1]

وقوله:(البسيط)

مـا كـل عاذلـة تصـغي لهـا أذنـــي وقـد سـمعت علـى الإكـراه فـانطلقي

فمـا سـلوت الهـوى جهـلا بلذتـــه ولا عصـيت إلـه الحلـم عـن خـرق [2]

استخدم لفظة (تمثال)و(إله الحلم) وهاتان اللفظتان غير شائعتين في الأدب العربي[3].

ومن المفردات العصرية التي استنبطها من ظواهر الحياة الاجتماعية الجديدة ووظفها في شعره، مناداة المرأة للرجل بسيدي وأخي: (الكامل)

ومخـــــدرات ناعمـــات خـــرد مثـل الـدمى حـور العيـون كواعـب

متنكـرات زرننـي مـن بعـد مـا هـدت العيـون ونـام كـل مراقـب

لقبننـــي أســماء منهـــا: ســيدي وأخي،وسالب من أحب وسالبي [4]

ومن مظاهر التجديد الأخرى تلوينه الصور والتشبيهات القديمة بمفردات عصرية مثل قوله: (مجزوء الرجز)

---

(١) شرح ديوانه ص٢٧٨، ووردت لفظة تمثال كذلك في ص٢٠١، ٢٨٨.

(٢) م. ن ص ٣٢٩.

(٣) ورد ذكر الإلهيات والتماثيل في الفلسفة اليونانية القديمة، ينظر الفلسفة اليونانية مقدمات، مذاهب، للدكتور محمد بيصار، فقد درس الجانب الآلهي في فلسفة افلاطون، وذكر ان كثيرا ما أطلق اسم الاله والإلهي على بعض المثل كمثال الخير ومثال الجمال وآلهة الكواكب وآلهة الاولمب، وغيرها كما ورد ذكر هذه الألفاظ عند اغلب الفلاسفة اليونان، فذكر فيثاغورس اله الجحيم، وذكر افلاطون إله الشر وإله الخير ورأى سقراط أن الآلهة تتصف بالحكمة والخير، وورد ذكر إله الخير وإله الشمس وتمثال الشيء عند المذهب الرواقي – ينظر تاريخ الفلسفة الغربية – الكتاب الاول – الفلسفة القديمة – تأليف برتراند رسل، ترجمة د. نجيب محمود ص٤٤٤،٤٠٥،٣٩٢،٣٨٠،٣٣٣،٢٢٠،١٨٩،١٨٣،٤٦، وينظر المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية تأليف أولف جيجن، ترجمة د. عزت قرني، فقد خصص المؤلف فصلا لدراسة الإلهيات عند فلاسفة اليونان ص٣٠٣ –٣٣٣.

(٤) شرح ديوانه ص١٨٦.

وردفهـــــــــا ثقيـــــــــل بخصـــــــــرها يميـــــــــد

كأنـــــــــه كثيـــــــــب لبـــــــــده الجليـــــــــد [١]

ولم نر أثرا للغة الحياة اليومية في شعره إلا في مواضع نادرة [٢]، ويمكن أن نعد مسلما (أول شاعر مولد استطاع أن ينظم بلغة صافية ولفظ مستو بعد ما ظل أقرانه من الشعراء العباسيين ينظمون بأسلوبين متفاوتي الألفاظ من حيث القوة والسهولة)[٣]. ومما يؤيد قولنا إنه كان يبحث عن الألفاظ الجزلة المستوية، ماروي من أنه كان أستاذا لدعبل (ت ٢٤٦ هـ) وقوله له (إياك أن يكون أول مايظهر لك ساقطا فتعرف به، ثم لو قلت كل شيء جيدا كان الأول أشهر عنك وكنت أبدا لا تزال تعير به)[٤].

وتعد ثقافة الشاعر – فضلا عن الفطنة والموهبة – باعثا من بواعث البديهة والارتجال، لأنها (تغني مخيلته بما يسعفه وقت حاجته من خزين ثروته الثقافية)[٥]، فقد روي أن هارون الرشيد هم بقتل مسلم، لكنه تعجب من سرعة بديهيته، فأمر له بجائزة واخلى سبيله[٦].

(١) م ن ص ١٩٥

(٢) ينظر م.ن ص ٣٤٥

(٣) مسلم بن الوليد – صريع الغواني – حياته وشعره – عبدالقادر الرباعي، رسالة ماجستير ص ٤٢٥.

(٤) الأغاني ٥١/١٩.

(٥) البديهة والارتجال في الشعر العباسي – مضر نوري الآلوسي، رسالة ماجستير ص ٤٤.

(٦) تنظر الرواية في العقد الفريد ١٨٠/٢-١٨١.